أنا وأنت على الطريق

علاقة الوالدين بالأبناء المراهقين

كتب المحامي والمستشار القانوني ريان عبد الرحمن مفتي في زاويته من أرشيف المحاكم هذه القصة الحقيقية في شأن الحب والروح..وعندما قرأتها في مجلة الجديدة الخاصة بالمرأة العربية تذكرت للتو قصة مجنون ليلى.. إليكِ يا سيدتي ما قاله في هذا الشأن:

شاب يبلغ من العمر سبعة عشر عاما، يدرس في المرحلة الثانوية. وهو الابن الأكبر لوالديه . وبرغم سنه المراهق إلا أنه شاب هادئ الطباع محبوب عند الأقرباء، جميل الملامح والصفات، فهو من شباب اليوم النادرين ، الذين يفضّلون النظر لمناهج دراستهم وتجنيد النفس على ذلك. فشخصيته اجتماعية مع أسرته وأقاربه، ويجيد زراعة الابتسامة داخل قلب من يتحدث معه، وينظر للمستقبل من فوق شعار الأمل والطموح. وقد زاد انشغاله وتوتره عندما التحق بالسنة الأخيرة من المرحلة الثانوية. وهي المرحلة الحاسمة والمخيفة بالنسبة له ولأبناء جيله. مما جعلته دائم الانشغال بالدراسة والمثابرة على تقديم أفضل النتائج. فاستمر على هذا المنوال خلال الشهرين الأولين من دراسته. وتبدّل الأمر بعد ذلك **ودخل الحب قلبه**. فقد أصبح هنالك ما يشغله ويشارك تفكيره وذهنه، وأصبح هنالك دافع آخر يبحث عنه ويرحل إليه. فقد كانت فتاة قريبة له في العمر وقريبة منه في الروح والهدف والتفكير، إلا أنها تختلف عنه في أشياء قليلة بعددها وكبيرة بأرقامها. فهي فتاة من أسرة ثرية ، وهو شاب بسيط الحال والمال ومن أسرة مستورة. ومع ذلك فلم يشعرا بهذا الفارق طوال تلك الفترة، بل كان الحب الذي بينهما قد أغمض عن الكثير مما يدور أمامهما من فوارق. فقد تسبب انشغال هذا الشاب لقلة التحصيل الدراسي والتقدم للخلف. وأدى إلى تحويله من شاب متفوق لشخص يقترب من الفشل أكثر فأكثر. مما لفت انتباه أسرته والشعور بوجود السبب لهذا التغيير. وبمراقبة الابن علمت الأسرة بهذه العلاقة التي بينه وبين هذه الفتاة التي كانت ردة فعلهم أقوى بكثير مما كانت من المفترض. فقد حُرم من الخروج ومن هاتفه النقال ومن ملامسة هاتف المنزل الثابت . **وبدلا من مناقشته كانت وسيلة الهجران هي المثلى حسب اعتقادهم** . ولكن لم تتوقع الأسرة بأن هذه الفتاة قد استحلت قلب الابن لهذا الحد. فقد هجر الطعام والشراب بسببها. وأصيب بالوحدة والهم القاتلين . ولم يشعر به أحد. وقد فاجأ أسرته باتصال من مدرسته لانتقاله به لأقرب مستشفى لإصابته بانهيار عصبي. فلم يتوقع والده هذا الخبر ولم تتغير مواقفه نحو ابنه. بل كان مصرّا على عدم التراجع عن موقفه وازداد شدة على شدته ولم يعلم بأن ابنه المراهق سيعيد رواية قيس لذاكرتنا. وقد

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

كان انفعال الابن وردة فعله أكبر بكثير مما توقع الوالدان، فقد كانت معاناة وألم قلبه هما الطريق المؤدي إلى وفاته وتوقف القلب. فبعد مكوثه أربعة أيام فوق سرير المرض صار في اليوم الخامس بين أحضان القبر.

يالها حقا من مأساة كبيرة يا سيدتي. فلقد دفع الشاب المراهق حياته ثمنا لحبه وعواطفه تجاه حبيبته. كما دفع الأم والأب ثمنا باهظا لقرارهما الصارم إزاء ولدهما. وبدل أن يبنيا جسرا بينهما وبين ابنهما، علّهما يصلان إلى حل معقول ، قاما بهدم كل باب للحوار والمناقشة. وكان الأمر مفروغاً منه بالنسبة لهما، ولابد للمراهق الولِهْ أن يسمع كلمة والديه ويطبّق ما طلباه منه في أن يتوقف عن المغامرات العاطفية ويقطع علاقة حبه بحبيبته التي لم تكن أصلا من خلفيته.

جاء التعامل مع الشاب المراهق شديدا وحاسما. مما جعله يكتئب ويحزن ومن ثم يمرض. فلقد كان الأمر أكبر مما كان يحتمله قلبه الصغير ذو العواطف الجياشة . فغاص في ألمه وتوقف قلبه عن الخفقان وأسلم الروح.

والآن ما هو موقف الوالدين مما حصل؟ وهل تصرّفا بحكمة مع ابنهما المراهق الولِه؟ وما هي الأمور التي يجب على الأهلين أن يقوموا بها إزاء ما يواجه أبناءهم وبناتهم من عواطف وميول تجعل البعض منهم يجنح ويتصرف تصرفات هوجاء غير صحيحة. وكيف يستطيع الوالدان أن يوجّهوا عواطف المراهق بطريقة حكيمة حتى يحكّم عقله على أحاسيسه ومشاعره.أليس الحوار هو الطريق الأمثل للعلاقات على كل الأصعدة؟ فلماذا قطع الوالدان الحوار مع ولدهما هذا؟ واختارا وسيلة الهجران بدل الكلام معه؟

عندما نعود يا سيدتي إلى تعليم الله المقدس في الكتاب المقدس الذي كتبه أناس الله مسوقين بالروح القدس، نتعلم الكثير في هذا الشأن. إذ نجد أن الله لم يتركنا دون دليل في كيفية تعاملنا مع أولادنا، بل لقد وضع لنا دستورا لكي نكسب أولادنا ونربحهم.

فنقرأ مثلا هذه الآيات المقدسة التي تقول : **أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم. بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره.**

يعلمنا الله تعالى ويقول بأنه علينا كآباء أن لا نغيظ أولادنا أي لا نثير غضبهم. وإنما أن نربيهم بتأديب الرب وتحريضه. والهدف من تأديبنا لأولادنا هو إعانة أولادنا على النضج وليس لأذيتهم أو تثبيط هممهم. فتربية الأولاد ليست أمراً هينا فهي تستلزم صبراً كثيرا لتنشئتهم تنشئة ملؤها المحبة وإكرام لتعليم الله المقدس. ولا يجب أن يكون تثبيط الهمم والغضب من دواعي التأديب. بل بالحري يجب أن يتصرف الوالدان بمحبة. ويعاملوا أولادهم كما عامل الرب يسوع المسيح أي عيسى بن مريم الناس والجمع من حوله. فلقد أبدى لهم المحبة العظمى . وهذا أمر حيوي لنمو الأولاد. و حين نتكلم إليهم يا سيدتي ونحاول توجيه تفكيرهم وعواطفهم التوجيه الصحيح، فإننا سنكسب أولادنا. فهل تقومين بمد جسور بينك وبين أولادك؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

هل تقضين وقتا معهم أنتِ يا سيدتي ؟ وماذا عن والدهم؟ هل تسمعان لقضاياهم وتبحثانها معا؟ أم تزدريان بآرائهم وتُسكتانهم؟ هل تتبعان طريق الصمت معهم؟ هل تترأفان على أولادكما؟

يقول صاحب المزمور :**كما يترأف الأب على البنين هكذا يترأف الرب على خائفيه**. أجل، فهو على الرغم من عصياننا وبعدنا عنه وارتكابنا للإثم والخطية، إلا أنه لم يتركنا وشأننا ، ولم يتوقف قط عن التعامل معنا بالمحبة والرأفة. ولكي يبيّن لنا ذروة محبته أعد لنا خطة للخلاص من عقاب خطايانا. فأرسل كلمته الأزلي يسوع المسيح مولودا من العذراء مريم، وعاش على أرضنا وجال يصنع خيرا ومن ثم مات من أجلنا على الصليب آخذا عقاب خطايانا. **وهكذا منحنا فرصة جديدة لكي نرجع إلى الله تعالى ونعود من عصياننا إليه**. فهل نتخذه مثالا لنا في تربيتنا لأولادنا نحن أيضا؟

****

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service